الفصل الرابع

الدولة الطولونية

(٢٥٤-٢٩٢هـ/ ٨٦٨-٩٠٤م)

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الرابع

الدولة الطولونية

٢٥٤ - ٢٩٢هـ / ٨٦٨ - ٩٠٤م

ساعد موقع مصر الجغرافي بعض ولاتها علي الاستقلال بها في العصر العباسي الأول، وشجع أولئك الولاة علي ذلك بعد المسافة بين العاصمة في مصر - الفسطاط - والعاصمة العباسية في بغداد ، وأول أولئك هو السري بن الحكم (٢٠١هـ/٨١٦م) الذي استطاع أن يجعل نفسه واليا مستقلا علي مصر ، وأن يجعل ولايتها في أبنائه من بعده مع بقائها تابعه اسميا للخلافة العباسية ، وكانت حركته قد بدأت في تنيس بشرق الدلتا[١].

وتميزت الفترة التي سبقت قيام الدولة الطولونية بالاضطرابات داخل الدولة العباسية بسبب سياسة العباسيين التي قامت علي كثرة تغيير الولاة لئلا يطمعوا في الاستقلال بالبلاد ، كما أصبح معظم الولاة منذ سنة ٢٤٢هـ/٨٥٦م من الأتراك ، وذلك بعد صرف آخر والي عربي علي مصر وهو عيسى بن اسحاق الذي أسندت إليه ولايتها سنة ٢٣٨هـ/٨٥٢م ، ولم يلبث أن عزل عنها سنة ٢٤٢هـ/٨٥٦م[٢].

وازداد نفوذ الترك في دار الخلافة ، وأخذ الخلفاء يقطعون الأمراء بعض الأقاليم ، وكان هؤلاء الأمراء يفضلون البقاء ببغداد حتى يأمنوا الدسائس ضدهم ، كما أن الخليفة كان يفضل أيضا بقاءهم بجواره حتى لا يفكروا في الاستقلال عن الخلافة ، ولذا كان هؤلاء الأمراء يرسلون من ينوب عنهم لحكم هذه الأقاليم يدعون لهم بعد الخليفة في خطبة الجمعة، ويرسلون لهم الخراج ويدينون لهم بالطاعة والولاء[٣] ، وكان من اثر هذه السياسة

(١) الكندي: ولاة مصر ، ص١٦٥-١٦٧ ، بدر عبد الرحمن: الدولة العباسية ، ص٩٣.
(٢) المقريزى: الخطط ، جـ١ ص٣١٢.
(٣) محمد حمدى المناوى: مصر في ظل الإسلام ، جـ١ ص٥٢.

أن عمد بعض النواب إلى الاستقلال بمصر عن الخلافة العباسية بعد أن تطرق الضعف إليها[١]

في ظل هذه الظروف كان وجود أحمد بن طولون في مصر، حيث كان والده طولون الذي يعني اسمه البدر الكامل في اللغة التركية[٢] مملوكا تركيا جلب إلي دار الخلافة العباسية، حيث كان من الرقيق الذين أرسلهم نوح بن أسد الساماني عامل بخاري للخليفة المأمون سنة ٢٠٠هـ/٨١٥م، وتدرج في المناصب حتى وصل إلى منصب رئيس حرس الخليفة وكان ذلك سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥م[٣].

خلال هذه الفترة أنجب طولون ابنه أحمد سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥م[٤]، وبعد وفاة والده سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م نال هو وأخوه موسى رعاية الجند الأتراك، وتزوجت والدتهما زعيما يدعي "بغا"، ثم تزوجت من باكباك الذي خلف "بغا" في وظيفة البلاط العباسي[٥]، ثم تزوج أحمد بن طولون من خاتون ابنة أحد زعماء الترك ويدعي "يارجوخ"، وهي التي أنجبت له ابنه الأكبر العباس.

جاء أحمد بن طولون مصر نائبا عن واليها الأصلي باكباك من قبل الخليفة المعتز سنة ٢٥٤هـ /٨٦٨م، وتقلد الفسطاط وأسيوط وأسوان دون الأعمال الأخرى مثل الإسكندرية وغيرها، وبهذا شارك ابن طولون آخرون في الإدارة المصرية، منهم أحمد بن المدبر عامل الخراج الذي كان منافسا خطيرا له[٦]

ولما توفي الوالي التركي باكباك تولي أمر مصر يارجوخ الذي عمل علي تثبيت صهره أحمد بن طولون في مصر نيابة عنه، بل أطلق يده فيها وقال له : "تسلم من نفسك لنفسك"[٧]، ومن ثم أتيحت الفرصة لأحمد بن طولون للتخلص من أحمد بن المدبر عامل

(١) جمال سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٩٦.
(٢) سيدة كاشف: أحمد بن طولون، ص١٧.
(٣) البلوى: سيرة أحمد بن طولون ، ص٣٣ ، المقريزى: الخطط، جـ١ ص٣١٣.
(٤) البلوى: سيرة أحمد بن طولون، ص٣٣.
(٥) أحمد عبد الرازق: تاريخ وآثار مصر الإسلامية، ص٨٨،٨٧ ، يوسف العش: عصر الخلافة العباسية، دار الفكر دمشق سورية١٩٩٦، ص١٤٥.
(٦) المقريزى: الخطط، جـ١ ، ص ٢١٤.
(٧) البلوى: سيرة أحمد بن طولون، ص ٤٩.

الخراج ، فطلب ابن طولون نقله ، فنقل إلى وظيفة عامل الخراج في دمشق وفلسطين والأردن سنة ٢٥٧هـ /٨٧٠م ، كما تخلص أيضا من عامل البريد شفير الخادم ، وانفرد تماما بشئون الولاية ، ونجح في إظهار الكيان المصري وإبرازه ، كما منحها لأول مرة تجربه الاستقلال الذاتي[١].

شرع أحمد بن طولون في الاستئثار بالسلطة في مصر وتثبيت أقدامه فيها وساعده علي ذلك الآتي :

١. ما حدث من انشغال الخلافة العباسية في إخضاع الثورات المتأججة في المشرق ، وثورات الزنج ، والمنازعات الحادة بين الخليفة المعتمد والموفق وكذلك ثورات ابن الشيخ[٢].
٢. قيام الجند الأتراك بالفتن والثورات .
٣. ما كان لأحمد بن طولون من علاقات طيبه مع كبار الموظفين في الحكومة المركزية في العاصمة .
٤. استفاد ابن طولون من تكوين جيش قوي بعد أن حصل من الخليفة علي تفويض بشراء عدد من المماليك لإخضاع عيسي بن الشيخ والي فلسطين والأردن ، إذ عاد هذا الجيش بكامل قوته لما علم أن الخليفة أرسل إليه أماجور الذي هزمه سنة ٢٥٧ هـ/٨٧٠م[٣].
٥. صار هذا الجيش أداة في يد ابن طولون يقضي به علي منافسيه والثائرين عليه.
٦. تولي أحمد بن طولون أمر الخراج والبريد مما ساعده علي استكمال سيادته علي البلاد .

(١) البلوى: سيرة أحمد بن طولون ، ص ٣٧.
(٢) البلوى: سيرة أحمد بن طولون ، ص ٥٣ ، المقريزى: الخطط ، جـ١ ص٣١٥ ، سيدة كاشف : الطولونيين والإخشيديين ص١٩.
(٣) البلوى: سيرة أحمد بن طولون ، ص ٥٠ ، ٥١ ، المقريزى: الخطط ، جـ١ ص٣١٥.

أهم أعماله:

قام ابن طولون بإصلاحات اقتصادية كبيرة في مصر، فنظم ديوان الخراج واهتم بالأمن الداخلي، وأقام الجسور، وحفر الترع، وانتعشت الزراعة، ونشطت الصناعات، وراجت التجارة.

- نزل أحمد بن طولون أول الأمر بمدينه العسكر، وأسس فيها بيمارستانه[١].
- شرع في بناء مدينة القطائع سنة ٢٥٦هـ/٨٦٩م، وانشأ بها مسجده المعروف[٢].
- تمكن من القضاء علي الثورات الداخلية التي نشبت ضده مثل ثورة بغا الأصغر، الذي نزل مع أنصاره بين برمة والإسكندرية، فأرسل ابن طولون جيشا ألحق الهزيمة به وقتله وحمل رأسه إلى الفسطاط سنة٢٥٥هـ /٨٦٨م[٣].

كما شهد الوجه القبلي قرب مدينة اسنا ثورات لبعض العلويين مثل ابن الصوفي العلوي الذي أعلن الثورة وهزم فرقه أرسلها إليه ابن طولون ومثل بجثة قائدها ابن يزداد، مما اضطر أحمد بن طولون إلى إرسال قائدين من قواده هما "بهم بن الحسين وابن عجيف"، وتمكنا من هزيمة ابن الصوفي، وهرب إلى الواحات[٤]، وظهر ثائر آخر يدعي العمري كان فقيها عالما يرجع نسبه إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقضي شطرا من حياته في القيروان بين بني الأغلب، ثم انتقل إلى الصعيد الأقصى وبلاد النوبة، وتمكن من جمع أنصاره من حوله وكون جيشا لا يستهان به وأعلن الثورة ضد ابن طولون، وظلت المناوشات بين الطرفين حتى تمكن بعض غلمان العمري من قتله وبعثوا برأسه إلى أحمد بن طولون[٥]، وبذلك تخلص ابن طولون ممن رفعوا راية العصيان ضده بجنوب البلاد، واستقامت له الجبهة الداخلية، واعترف الناس بزعامته، وعلا شأنه بحيث لا يجرؤ ثائر علي الخروج عليه مرة أخرى.

(١) ابن دقماق: الانتصار، جـ٤ ص٩٩، محمود رزق: المجتمع المصرى، ص٢٢١.
(٢) المقريزى: الخطط، جـ١ ص٣١٣، حسن الباشا: مدينة القطائع، القاهرة، تاريخها، فنونها، وآثارها، ص١٦.
(٣) البلوى: سيرة أحمد بن طولون، ص ٦٢.
(٤) سيدة كاشف، حسن أحمد محمود: الطولونيين والإخشيديين، ص٢٤.
(٥) البلوى: سيرة أحمد بن طولون، ص ٦٤-٦٦.

علاقة ابن طولون بالموفق :

جاء الخطر الحقيقي علي أحمد بن طولون من ناحية الموفق ولي عهد الخليفة المعتمد العباسي ، حيث نجح في الحصول علي تفويض من أخيه بحكم الولايات الشرقية ، فأرسل الموفق يطلب من ابن طولون الأموال والهدايا التي اعتاد إرسالها إلى الخلافة في كل عام ليستعين بها علي حرب الزنج ، فأرسل إليه ابن طولون ألف ألف ومائتي ألف دينار (١,٢٠٠,٠٠٠) مليون ومائتي ألف دينار[١] ، ولم يرضي هذا المبلغ الموفق ، فأعد جيشا لإخراج ابن طولون من مصر وعلي رأسه موسى بن بغا ، وحين علم ابن طولون بتقدم جيش ابن بغا أخذ في تحصين مصر وشيد أسطولا حربيا ، وأقام حصنا قويا في جزيرة الروضة[٢].

وانتهز ابن طولون موت أماجور والي الشام سنة ٢٦٤هـ/٨٧٧م ، وقاد جيشه إليها ، ودخل الرملة ودمشق وحماة وحمص وحلب وإنطاكية ، وفي سنة ٢٦٤هـ / ٨٧٧م امتد نفوذه حتى الرقة ، وصار ملكه يشمل مصر والشام وبرقة ، وذكر اسمه في الخطبة بعد اسم الخليفة في هذه البلاد[٣].

ولم تكن هذه الانتصارات التي حققها ابن طولون نهاية الخصومة بينه وبين الموفق ، بل زادت الخلافات واستخدم كل طرف من السلاح والمكيدة والحرب الباردة والدبلوماسية مما يحقق هدفه ، فنصب ابن طولون نفسه مدافعا عن الخلافة بالسيف وبقوه السلاح ، وأرسل إلى الخليفة المعتمد سنة ٢٦٨هـ/٨٨١م يغريه بترك بغداد والالتجاء إلى أملاكه بمصر[٤] ، فرحب المعتمد بذلك ضجرا من أخيه ونكاية له ، وخرج بالفعل ومعه بعض خواصه بزعم انه ذاهب للصيد حتى وصل إلى الرقة ، حيث كان في انتظاره ضابطان من رجال ابن طولون ، إلا أنه انكشف أمره ، فأرسل الموفق إلى عامل الموصل اسحق بن

(١) البلوى: سيرة أحمد بن طولون ، ص ٨٠،٨١.
(٢) سيدة كاشف، حسن محمود: الطولونيين والإخشيديين ، ص٣٥-٤٠.
(٣) الطبرى: الرسل ، جـ١ ص٣٢٣ ، البلوى: سيرة أحمد بن طولون ، ص ٩١
(٤) ابن سعيد: المغرب ، ص١٢٦ ، البلوى: سيرة أحمد بن طولون ، ص ٢٨١ ، المقريزى: الخطط ، جـ١ ص٣٢٠.

كنداج يطلب منه رد المعتمد[١] ، واستطاع اسحق أن يقبض علي الخليفة وحاشيته وأعاده إلى أخيه الموفق[٢].

وخلع الموفق علي اسحق بن كنداج ولقبه بذي السيفين ، وعينه علي مصر بدلا من أحمد بن طولون[٣] ، فأحضر ابن طولون قضاة أعماله واستفتاهم في خلع الموفق ، وأصدر قرار بخلعه وإسقاط اسمه من الخطبة ، ومحوا اسمه من الطراز ، وأمر بلعن الموفق علي المنابر ، وذلك لمخالفته للمعتمد وحصره إياه ، ثم استخدم جيشه لإقرار سلطانه علي الحجاز والشام ومنازلة قوات الموفق في مكة[٤].

كان رد فعل الموفق أن استصدر أمرا بلعن ابن طولون علي المنابر في جميع الولايات، وظل العداء بين الرجلين حتى رأي الموفق إن التمادي في ذلك لن يؤدي إلى خير ، فراسل ابن طولون معاتبا ، واعتذر له علي ما كان من لعنه علي منابر بغداد ، ولما تأكد ابن طولون من صدق رغبة الموفق جنح إلى المسالمة واعتذر إليه ، وظلت المفاوضات ، وخرج رسول الموفق حاملا كتاب الصلح ، فلما بلغ الرقة بلغه موت أحمد بن طولون ، فعاد راجعا إلى عاصمة الخلافة وكان ذلك سنة ٢٧١هـ/٨٨٤م[٥] .

وهكذا نري أن أحمد بن طولون استمات في الدفاع عن حقوق قد اكتسبها حتى وفاته بعد أن حكم مصر ما يقرب من ست عشرة سنة وترك دولة موطدة الأركان ، حيث اهتم اهتمام بالغ بشتي مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية وأخضع الثورات الداخلية ، فعم الرخاء في عهده ، وكان يشرف بنفسه علي أمور الدولة ويستطلع أحوال الشعب.

وبعد وفاه ابن طولون اجتمع الجند وبايعوا ابنه خمارويه ، حيث كان أحمد ابن طولون قد زج بابنه البكر العباس في السجن بعد العصيان المسلح الذي قام به ضد أبيه ،

(١) البلوى: سيرة أحمد بن طولون ، ص ٢٩٠.
(٢) الطبرى: تاريخه ، جـ٨ ص١٠٧.
(٣) المقريزى: الخطط ، جـ١ ص٣٢٠.
(٤) البلوى: سيرة أحمد بن طولون ، ص ٢٩٣.
(٥) البلوى: سيرة أحمد بن طولون ، ص ٢٩٩ ، المقريزى: الخطط ، جـ١ ص٣٢٠.

وظل هذا الابن في السجن بعد وفاه أبيه[١] ، وانتهي الأمر بأن قتل خمارويه أخاه العباس في السجن حتى تصفوا له الإمارة كلها لأنه اعترض علي مبايعته[٢].

وفي عهد خمارويه حاول الموفق الاستفادة من موت أحمد بن طولون وفكر في القضاء على استقلال مصر ، وعلم بذلك خمارويه حيث كانت قوات الموفق تتقدم نحو مصر بقيادة اسحق بن كنداج ومحمد بن أبى الساج ، وانحاز إليها عامل ابن طولون على دمشق وسلم لابن كنداج أنطاكية وحلب وحمص ، ولذا أرسل خمارويه جيشين إلى الشام أحدهما بقيادة أبو عبد الله أحمد محمد الواسطى ، والآخر بقيادة سعد الأيسر ، وساندهما بقوة بحرية ترابط في السواحل الشامية[٣].

هزمت جيوش خمارويه عند شيرز ، ودخلت القوات العراقية دمشق ، ثم وصلت إلى الرملة لتشق الطريق إلى مصر ، وكان ذلك بسبب خيانة الواسطي ، فخرج خمارويه إليهم في جيش يتكون من سبعين ألف مقاتل[٤] ، والتقي بالقوات العباسية عند الطواحين على نهر أبى فطرس بين الرملة ودمشق سنة ٢٧١هـ/٨٨٤م[٥].

وتمكن قائد خمارويه سعد بن الأيسر من رد الأعداء الذين كانوا قد حققوا النصر في أول المعركة وانشغلوا بالغنائم ، واضطرت الجيوش العباسية إلى التراجع نحو دمشق ، فهزمهم سعد بن الأيسر هزيمة منكرة[٦] ، وهكذا تمكن خمارويه من استعادة أغلب مدن الشام[٧].

وعلى الرغم من هذا الانتصار فقد رأي خمارويه أن في السلم خيرا ، فكان البادئ بطلب الصلح والتفاهم مع الخليفة ، فكتب للموفق في طلب الصلح وهو ببلاد الشام على

(١) الكندى: ولاة مصر ، ص٢٤٩.
(٢) الكندى: ولاة مصر ، ص٢٥٨ ، ابن سعيد: المغرب ، ص١٣١.
(٣) حسن محمود: حضارة مصر في العصر الطولونى ، ص١٠٥.
(٤) الكندي: الولاة والقضاة ، ص٢٣٥.
(٥) أحمد عبد الرازق: تاريخ وآثار مصر الإسلامية ، ص٩٨.
(٦) الطبرى: الرسل ، جـ١ ص١٤٩ ، أبو المحاسن: النجوم ، جـ٣ ص٥٠.
(٧) حسن محمود: حضارة مصر في العصر الطولونى ، ص١٠٦.

مال يدفعه[١] ، فوافق الموفق سنة ٢٧٣هـ/٨٨٦م وأعطى له الحق في أن يحكم الدولة وأن ينفرد بها ثلاثين سنة هو وولده ، ولا يهدد بعزل أو يتدخل في شئون خمارويه[٢].

وكانت هذه الاتفاقية نصرا عظيما توج به خمارويه فوق الانتصارات العسكرية التي أحرزها ، فتمكن بعدها من بسط نفوذه على منطقة الثغور ، ومن إقرار الأمن والطمأنينة في البلاد ، وخاصة بعد تمكنه من القضاء على المحاولة الأخيرة التي قام بها ابن أبى الساج سنة ٢٧٤هـ/٨٨٧م[٣].

وفي عهد خمارويه تعززت العلاقات ، وتوفي الموفق سنة ٢٧٨هـ/٨٩١م[٤] ، ثم توفي المعتمد سنة ٢٧٩هـ/٨٩٢م ، كما عرض خمارويه أن يزوج ابنته قطر الندي إلى ابن الخليفة المعتمد - المعتضد - ، ولكن المعتضد فضل أن يتزوجها هو ، وتم ذلك سنة ٢٨٢هـ/٨٩٥م[٥].

ظل خمارويه يحكم مصر والشام لمدة اثنتي عشرة سنة حتى اغتيل في دمشق على يد بعض خدمه وجواريه بعد إتمام زواج ابنته قطر الندي بقليل سنة ٢٨٢هـ/٨٩٥م.

أبو العساكر جيش :

خلف خمارويه ابنه الأكبر أبو العساكر جيش ، وكان صغير السن في الرابعة عشرة من عمره ، ولم يكن ذا خبرة والتف حوله طائفة من الغلمان أخذوا أمره ، فاستهل حكمه بقتل عمه أبي العشائر بن أحمد بن طولون ، وأقبل على مجالس الشرب واللهو[٦] ، فنفر منه الجند وعولوا على خلعه ، وانتهي الأمر بأن خرج عليه صاحب دمشق ، وأمير الثغور ، وأسقطا اسمه من الخطبة على المنابر[٧].

---

(١) الكندي: الولاة ، ص٢٣٨ ، المقريزى: الخطط ، جـ١ ص٢٣١.
(٢) الكندي: الولاة ، ص٢٣٨ ، أبو المحاسن: النجوم ، جـ٣ ص٥١.
(٣) الطبرى: الرسل ، جـ٨ ص١٥٤.
(٤) أحمد عبد الرازق: تاريخ وآثار مصر الإسلامية ، ص١٠٠.
(٥) الطبرى: الرسل ، جـ٨ ص١٧٠، المقريزى: الخطط ، جـ١ ص٣١٩ ، أبو المحاسن: النجوم ، جـ٣ ص٥٣ ، السيوطى: تاريخ الخلفاء ، ص٣٢٢.
(٦) الكندي: الولاة ، ص٢٤١.
(٧) المقريزى: الخطط ، جـ١ ص٣٢٢ ، أبو المحاسن: النجوم ، جـ٣ ص٩١.

وعلى الرغم من ذلك لم ينزعج أبو العساكر مما حدث واستمر في لهوه وعبثه ، فاجتمع عليه رجال أبيه وقرروا ضرورة خلعه ، وأشهدوا بذلك عدول البلد وتم عزله والقبض عليه[١].

خلف أبا العساكر أخوه أبو موسى هارون (٢٨٣هـ/٨٩٦م) ، وبايعه الجند وجعلوا مدبر دولته أبو جعفر محمد بن أبى . من كبار رجال بن طولون[٢] فثبت أبو موسى هارون ملكه بعد أن تخلص من جميع حاشية أخيه أبو العساكر جيش[٣] ، إلا أن أحوال البلاد كانت مضطربة وفسدت أحوال الجند الطولونيين المرتزقة ، بجانب أن ربيعه بن أحمد بن طولون عم هارون قد أنكر ولايته وطلب الولاية لنفسه إلا أن هارون بفضل جنوده السود تمكن من القضاء على عمه ربيعة وقتله[٤] ، وفي ذلك الحين ورد على هارون موت الخليفة المعتضد زوج أخته قطر الندى سنة ٢٨٩هـ/٩٠١م ، وتولى ابنه محمد الملقب بالمكتفى[٥].

وبدأت حركة القرامطة تجتاح الشام فتصدى لها هارون ، الأمر الذي استنفذ فيه جانبا كبيرا من جيشه ، وزاد الأمر سوءا تلك الوحشة التي وقعت بينه وبين الخليفة العباسي المكتفي[٦] ، الذي طمع في استعادة سلطان العباسيين على مصر ، فندب القائد محمد بن سليمان للقضاء على آخر الطولونيين[٧].

وبينما كان جند العباسيين يستولي على أملاك الطولونيين في الشام شهدت مصر آخر انقلاب سياسي في عهد الطولونيين راح ضحيته أميرها هارون بن خمارويه سنة ٢٩٢هـ/٩٠٤م ، إذ وثب عدى وشيبان ابنا أحمد بن طولون على ابن أخيهما هارون وذبحاه، وهو لا يزال في الثانية والعشرين من عمره بعد أن دامت ولايته على مصر ثمان سنوات وثمانية أشهر وبضعة أيام[٨].

(١) أبو المحاسن: النجوم ، جـ٣ ص٩١.
(٢) ابن الداية: المكافأة ، ص١٥٦ ، حسن أحمد محمود : مصر في عصر الطولونيين ، ص٧١
(٣) أبو المحاسن: النجوم ، جـ٣ ص٩٩.
(٤) أبو المحاسن: النجوم ، جـ٣ ص١٠٠.
(٥) المقريزى: الخطط ،جـ١ ص٢٢٣ ، السيوطى: تاريخ الخلفاء ، ص٣٢٦.
(٦) أبو المحاسن: النجوم ، جـ٣ ص١١٠.
(٧) ابن سعيد: المغرب ، ص١٤٥.
(٨) المقريزى: الخطط، جـ١ ص٣٢٢ ، أبو المحاسن: النجوم ، جـ٣ ص١١١.

بعد مقتل هارون تولى عمه شيبان مقاليد الأمور، وكان شابا في عنفوان شبابه، وكان أهوج يتسرع في أموره بما لا يخدم مصالح البلاد، فقد عانى من قلة الأموال وإفلاس خزائن الدولة، فلم يتمكن من استرضاء الجند، فازدادت الأحوال سوءا وانضم جنده جماعة بعد جماعة إلى جند الخليفة المكتفى.

ووصل محمد بن سليمان القائد العباسي إلى العباسة - بمحافظة الشرقية - وحاول الجيش الطولونى صد هجماته ولكن دون جدوى، فأرسل محمد بن سليمان إلى شيبان يؤمنه وأهله جميعا، فسار إليه بأهله تاركا جنده وهم لا يعلمون بتخليه عنهم، فلما علموا بذلك تفرق أمرهم[١]، وانهال عليهم الناس حتى صاروا يذبحون جماعة بين يدي القائد العباسي الذي أمر بإحراق القطائع ونهب الفسطاط[٢]، وبذلك انتهت ولاية شيبان التي استمرت تسعة أيام فقط وانتهت الدولة الطولونية بأكملها، واجتهد محمد بن سليمان في إزالة آثارها ولم يطل مقامه بمصر إذ استبدله المكتفى بعيسى النوشري[٣].

وهكذا عادت مصر ولاية عباسية كما كانت من قبل بعد أن حكمها بنو طولون ثمانية وثلاثين عاما[٤]، وولي محمد بن سليمان على خراجها أبا علي الحسين بن أحمد الماذرائي، وولى على صلاتها عيسى النوشري[٥]

(١) أبو المحاسن: النجوم، جـ٣ ص١٣٧.
(٢) المقريزى: الخطط، جـ١ ص٢٣٢.
(٣) أبو المحاسن: النجوم، جـ٣ ص١٤٧.
(٤) حمدى المناوى: مصر في ظل الإسلام، ص٦٢.
(٥)جمال الشيال: تاريخ مصر الإسلامية، جـ١، ص١٠٩